العدد الثالث هاتور سنة ١٦٤٢ ـ السنة الثانية والثلاثون

من صهيون تخرج الشريعة اش ٢ : ٣

# صهيون

مجلة دينيّة علميّة تاريخية

(صاحب امتيازها الاسقف ايسوذورس)

(قيمة الاشتراك عن كل سنة ٢٥ قرشاً صاغاً)

المراسلات لادارة صهيون بالدرب الابرهيمي بمصر

## رسالة في تهذيب النفس

للكاتب البليغ

القديس بطرس السدمنتي أحد رجال الجيل الثالث عشر

كتبها للانبا يوساب اسقف اخميم حسب طلبه

قال . لما سألني الاب اجبته في ذلك اجابة التلميذ لمعلمه والعبد لسيده بدأت به مسترشداً الله ومعتضداً بصلوات الاب وارجو أن احصل الغرض من مقترحه لافوز بجايزة دعواته وبركاته وليكون لي ذلك تذكرة صالحة يذكرني بها فى حال الحياة والموت معاً وارجو ان تكون لي ذخيرة نافعة ودرة ثمينة وتجارة رابحة . فان نفسه الصالحة تؤثر كثيراً وتضاعف الفضيلة اذا وجدت اليها سبيلاً . وقياسي اليه قياس

المتكلم المتمم الذى يعرض المحفوظات على المعلم . وجامع الازهار وجاني الأثمار الى الملك من روضاته . وقد اجمعت له في هذا المختصر ملحاً من الآداب الشرعية والتهذيبات العقلية حسب ما يليق بنفسه العمالة وقواه المطاوعة . والله معتمدي في حصول القصد وهو حسبي ونعم الوكيل

اني حاكيت في هذا المختصر الواعظ والخطيب من حيث لم اكن كذلك وذلك لضرورة التصنيف والنظم وهذا حين ابتديء واقول

## الفصل الاول

أفضل الاعمال ما عم نفعه وحسن في العقل والنقل موقعه ودام اثره وذكره وعظم أجره فكان نافعاً لكل أحد في العمل ومضراً لفرد فرد في الترك والخلل . وقيل افضل العمل افضل من تعدى اليه . وقيل هو الذي يتعلق في العمل بأفضل ما في الانسان ويتعدى الى افضل الموجودات . وقيل هو الذي يتصل بدار الآخرة ويدوم ويبقى بلا نهاية . وقيل هو الذي يفضل الانسان على ابناء جنسه ويجعله شبيهاً بخالقه .

اذا عرفت هذا فاقتن من كل فاضل افضله وداوم عمله وحافظ كل المحافظة على اثره واودع درة شخصه وجميل موقعه في خزانة الذهن واجعل عليه العقل رقيباً وداوم مطالعته واغذ النفس بمناجاته واحفظ الكنز وصن الذخيرة واحذر السالب وتوق الخادع والمخادع ولا تثق بهما الى آخر الانفاس فكثيراً ما جاء المعطب اخيراً واكتف من العظة بآدم فانه مع

سلامة الحال أمر بالحرص والحفظ ومع قلة المحارب خدع وكفى بالعبرة
مثلة وكفى بالشاهدة محاذرة فكم من سفينة مفعمة اصنافاً نفيسة غرقت
بالمينا وكم من جدار هوى عند الانتهاء . فلا تثق ما دمت في الدنيا فليس
لك من الفضيلة الا ما كان من التحفظ والحذر والخوف وعدم الثقة .
ولهذا قال بولس الرسول من كان قائماً أي فاضلا أو كاملا فليتحفظ أن لا
يسقط وآدم في حال كما له أمر بالتحفظ لانك قد علمت أن حفظ الفضيلة
اتعب من تحصيلها فان المسلوب كنزه يتألم الماً مضاعفاً بخلاف من هو
في سبيل التحصيل فقط . فلذا لا تطمئن ولو كانت الفضيلة عظيمة ومدتها
طويلة لان زوالها ممكن . فكم من مرة احكمت امراً وكاد يصير لي ملكة
ثم ذهب كأنه لم يكن ولم يبق عندي منه سوى ذكره والمه واروم فى كل
وقت العودة اليه فما اصل الى مبادئه وافل نجم العمر وانا متحسر على اول
رتبة فيه وما علمت سبب الامتناع هل ذلك سياسة من الباري تعالى او
تقصير مني فى الجهاد . والذي استفيده على الدوام ليس سوى الحسرة
والتوجع والخوف من انكشاف الحال اخيراً وظهور السبب مني وثبات
الخطيئة عليّ . فلهذا لا ينبغي للمرء ان يركن على عمله الى يوم ظهوره متلالئاً
بمجيء ربه حيث المدحة والكرامة لكل من عمل الصالحات .

## الفصل الثاني

الفضائل منها اوائل وثوان وثوالث والارتقاء من اولها الى ثانيها

أمر يجري على المنهج الطبيعي والعقلي والشرعي والعادي جميعاً . واي من
سلك على هذا الترتيب وقصد الفضيلة على هذا النظام ولم يخالف فى السبيل
بل توجه الى الله فى القصد وتناول الاول فالاول من العمل وسلك في
طريق العبادة سلوك المرتقي الدرج على العادة امكنه الوصول الى ذروة
الفضيلة بسهولة وربما وصل من حيث لم يدر وان اخل فى سعيه بهذا
الترتيب ودام يسعى مع عدم الوصول عطب اخيراً من حيث لم يدر
وخاب من الرجاء وحصل على العناء

على هذا السبيل علم سيدنا الجمع وقدم الاسهل فى الوعظ وآتى باكمل
الاعمال فى الاقوال اخيراً . وخاطب الشاب على هذا الترتيب ايضاً ولما قال
الشاب انه أكمل الوصايا الجزئية اشار عليه بالكمال اخيراً . وقال بولس
الرسول للمنحطين فى هممهم . اني لم ارفعكم الى ما يرفع اليه من يطعم الطعام
القوي اي الاعمال الشاقة والفضائل الكاملة والاعتقادات الدقيقة بل
كالاطفال ارضعتكم اللبن اي السهل المأخذ من العلم والعمل . واحتج
السيد عن التلاميذ لليهود بسبب اهمالهم لنوافل الصوم والصلاة وفي
ذلك فيه كفاية . وبحسب هذه الشواهد فالانسان مفتقر فى عبادته الى
معرفة ما يبتديء به ويتوسط به وينتهي اليه والا لا يرتقي الى شيء من
الفضائل . وأن ارتقى على خلاف الوضع المذكور انحط من الرأس نازلاً
ويدل على ذلك أيضاً قول الرسول بولس . انى اعرف من نفسى
واحدة وهي انى انسى ما ورائي من السعي وانبسط الى ما امامي واحاضر

دانياً نحو العلم لادرك الشيء الذي يطالبني به المسيح . فقوله دانياً اي مقترباً لاحصل على الغرض من القرب الالهي . وقوله نحو العلم أي لاصل بفضل السعي على الترتيب الى المعالم الربانية والمعارف الالهية التي لها دعاني المسيح التي هي الغاية من دعوة شريعته الالهية .

فالسيد والرسل والانبياء والافاضل جميعاً سلكوا في القول والتعليم والعلم على الترتيب المخصوص واستعملوه اولاً في نفوسهم ليقتدى فيه بهم . والجاهل من الناس ينظر الى الغاية وهو لم يبتدئ بعد ويطلب كل شيء في غير زمانه واذ لم يجد اثر ذلك في نفسه تخلى عن عبادته ورجع الى ورائه وصار عطلاً بقية حياته وربما مارس الرذائل باعيانها لان من عادة الانسان ان لا يكون عطلاً ولا ساكتاً على الدوام لانه خلق بالطبع والاختيار متحركاً ومتصرفاً وبحسب ذلك يصدق عليه العمل كيف كان ويصح عليه الطلب وتصدق عليه المجازات من حيث انه خلق عاقلاً فاعلاً مختاراً

اذا عرفت هذا فلا تعدل عن القصد ولا تطلب شيئاً على خلاف الغرض ولو كان فاضلا وأخر كل امر الى حينه وتناول المهم وأت بالضروري والنافع واللايق بك في وقته وابتدئ به وجد في اكماله ولا تشغل الفكر في ما عداه فيفتك الحاضر من العمل ولا تصل الى ما سواه ولا تنظر الى ما هو افضل لئلا تنحل همتك في ما انت بصدده بل اعتقد ان كل عمل في وقته كامل وكاف في الخلاص اذا عمل بحسب الغرض الذي له وضع .

ولا تشابهي في التحريف وسوء الاعتماد فان كثيراً ما خالفت النظام
المستقيم وتوغلت في ردي التدبير واستنتجت منه الردي والاذى المظيم
ولما عرفت جهات الاضرار نهيت الناس عنها ولم آنف العودة اليها ايضاً
وليس ذلك بغريب من المتهاونين ان يعرف احدهم الخير ويوافق في القول
عليه ويخالف في العمل . ويا ليتني ما عرفت شيئاً . او لما عرفت كنت عاملا
فان عقاب من علم وخالف يكون جزيلا ولا تغتر بقولي وتأخذني لذاتي
مأخذ من يروم اخفاء فضيلته بتهجينه لذاتي فليس في كل موضع يصح
هذا التأويل . لانه وان كانت عادة الافاضل استعماله الا انه لا يصح
على مثلي . ولم اقصد من هذا الذم الا مدلوله المطابق خاصة لا الاستعاري

## الفصل الثالث

اعلم ان طالب الفضيلة يفتقر الى سبعة امور الاول ان يعرف ما
الفضيلة وما الرذيلة وغاية كل واحدة منهما والمجازاة عنها اما بنفسه ان
كان فهيماً او على يد مرشد فاضل . الثاني ان يبدأ بالابتعاد عن الرذائل
واسبابها ويتجلد على الم تركها . لانك قد علمت ان اسبابها اسباب
الراحة وعدم التكليف الثالث ان يقوم مقابل الطبيعة نحو العادة الرديئة
ويقاتلها ولا يكف حتى يجعل الميل نحو الفضيلة اغلب ويكاد ان يصير ذلك
ملكة له وعادة فاضلة في ممانعة الطبيعة ومخالفة العادة . الرابع ان يبتدئ
بالعمل اولاً فاولا على الترتيب المذكور ولا يتقدم الى عمل دون ال

كم الاول . الخامس ان يحفظ الحاصل عنده ويجد نحو المستحصل دائماً
يكون عاملا وحافظاً معاً على الدوام . السادس ان يعتقد ان الارتقاء الى
اية الفضائل ممكناً للطبيعة البشرية حسب ما نطقت به الكتب الالهية
الكتب الفلسفية . فان من لم يتحقق ان اكمالها ممكن لا يجد نحوها ولا
شتاق اليها ولا يصدق من اتى بها ولا يرجع في التوجه اليها . السابع ان
حقق ان الفضيلة مطلوبة لذاتها ومشكورة حيث ماوجدت وانها خليقة
لانسان والانسان خليق بها وانه لم يخلق الا لها وانها تحفظ عليه نوعه
وحده بخالقه . وهذه افضل مراتب الفضيلة بحسب الاعتبار الشرعي
لعقلي جميعاً . وليس وراء هذه الغاية غاية اخرى

واعلم ان الرذائل واقسامها فى مقابلة هذا الاعتبار . اذا عرفت هذا
ه فى العمل واقصد الغاية وتوجه نحو الفضيلة واطلب الكمال من حيث
ممكن واطمع فى اللحوق به واصرف الهمة فيه وتوغل فى السعي اليه
لم تصل . وربما كان الطلب على الدوام انفع ببعض الناس من الوصول.
ذا يؤخر الله بحكمته عن المرء مطلوبه فى بعض الاوقات ليلازم حضرته
اوم قرع بابه وليوجد على الدوام ضارعاً طالباً نحو الافضل من الافضل
رف نفسه بالمناجاة الالهية دائماً . فان مفاوضة الافضل افضل ونتيجة
اوضة الالهية عظيمة وتأثر النفس بها جسيم . لانك قدعلمت ان الباري
لى يؤثر ان يكون الانسان ملازماً له وطالباً اياه على الدوام فمتى اناله
لوبه كف عن الطلب والملازمة والتذلل والشوق التي هي اكمل الاعمال